جامعة الشهيد حمّة لخضر/ الوادي الدورة العادية السداسي2022/2

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية مقياس: التاريخ السياسي للأندلس

شعبة التاريخ

الأستاذ: حميد زيدور

الإجابة النموذجية

لعلّ تاريخ الأندلس المليء بالشخصيات السياسية والعسكرية من خلفاء وأمراء وحجّاب ووزراء، قد حمل لنا نماذج تستحق الدراسة والكتابة عنها، لما تمتاز به من صفات وخصال استثنائية، قدّمت للأندلس والغرب الإسلامي الكثير من الأحداث وعبّرت عن مواقفها السياسية عبر أمثلة وصور قلّ في حينها نظيرها.

وقد كان المنصور ابن أبي عامر الحاجب والوزير ومؤسّس الجماعة العامرية بالأندلس، من هذه النماذج السياسية الجدلية في عطائها وسيرها وما صبغت به أعمالها الأندلس الأموية فترة الخلافة، إذ أنّ كاريزميته وقوّة شخصيته، مع دهائه ومكره السياسي والعسكري، مع الأثر الذي تركه من عمران بتأسيسه لعاصمته الزاهرة، وتطوّر اقتصادي كبير، وازدهار علمي، وما تميّز به من تقريب للعلماء والعامّة، جعله ضمن نظرتين اثنتين، الأولى موالية لسلوكياته وأخرى ضدّ ما قدّمه وبصم به أرض الأندلس، لكون مآثره في نظرهم ما كانت سوى ذرا للرماد، إذ مقاصده لم تكن إلّا ارضاء للعامّة حتّى لا تثور ضدّه، وهو الذي حجر على الأمير هشام المؤيّد، وأقصى أهل الحق في ممارستهم للحكم والسلطة، وجلبه الآلاف من المرتزقة البربر من أولئك الذين يحترفون الجندية والقتال مقابل المال والمغنم، إذ صمت العامّة والرعيّة عن ذلك بما فيهم الجيش النظامي الأموي المتكوّن من الشاميين والعرب والبلديين، ما كان لسبب واضح وقوّي.

ثم لم تكن مآثره وأعماله العمرانية والاقتصادية وتقريبه لعلماء وفقهاء المالكية بقرطبة وغيرها من مدن وأقاليم الأندلس، سوى لإرضائهم وفرض صمتهم، وبالأخص من خلال الغزوات التي كانت اتّجاه الأراضي الشمالية بإسبانيا، لمحاربة الممالك النصرانية الاسبانية باسم الجهاد ومحاربة الكفّار، ومقاومتهم والذود عن دار الإسلام.

وهكذا فالغزوات العديدة التي فاقت الخمسون غزوة، تحت غطاء الجهاد، ما كانت سوى تغطية للكثير من السلوكيات المنحرفة للمنصور، من مثل القتل والاقصاء والتهميش الذي طال رجالات الدولة الأموية من حجّاب ووزراء وقادة عسكريون، وتغطية أمام ضربه للعائلة الحاكمة بداية من الخليفة هشام، ثم إنّ بنائه للزاهرة كعاصمة له ولجماعته، مع ما صرف عنها من مال ورجال ومتاع، كان يلزمه أمام الفقهاء وعلماء الشرع وبخاصّة من المالكية، أن يكون له مقابل يواجههم به، والمقابل كان اتصافه والدعاية لنفسه ولمواليه بأنّه مجاهد لا يحب الدنيا ومتاعها ولا السياسة والحكم وشؤونه، وكيف يكون له ذلك، وهو قاب قوسين أو أدنى من الموت في كلّ لحظة وهو بأرض العدّو الكافر، يجاهد ويحارب بعيدا حتّى عن عاصمته وقصوره و....

يمكن الوصول في الأخير إلى أنّ سياسة المنصور محمد بن أبي عامر وهو الحاجب المشهور أكثر من نار على علم، وما استعمله من دهاء وحيلة ومكر، جعله يستعمل الجهاد وسيلة من وسائل شراء ذمم العامّة والسياسيين والرّعية والعلماء والفقهاء، إذ أنّه، أيّ الجهاد، كان السبب الحقيقي - وهذا عبر أكثر من خمسين غزوة - في تهدئة الأمور بالأندلس الأموية وصمت رجالات الحل والعقد، ولم يكن إلّا أداة دينية استغلّها الحاجب المنصور للترويج لنفسه والقضاء على منافسيه واقصائهم بعيدا عن طموحاته.

الأستاذ حميد زيدور/جامعة حمّة لخضر.